كان يا ما كان...

بِينُوكْيُو

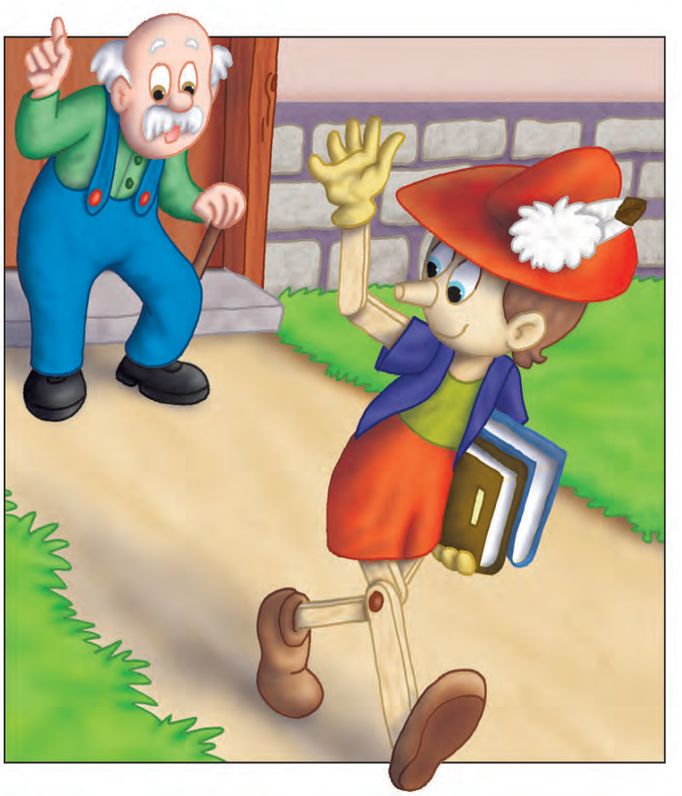

مقتبس عن حكايات كارلو كولودي

رسوم : منصور عموري

CHIHAB Kids

ذَاتَ يَوْمٍ، كَانَتْ قِطْعَةُ خَشَبٍ احْتَارَ لِأَجْلِهَا النَّجَّارُ أُسْتَاذُ « كَرَزْ ». فَكُلَّمَا أَرَادَ نَحْتَهَا، سَمِعَ تِلْكَ الْقِطْعَةَ تَبْكِي وَ تَضْحَكُ كَالطِّفْلِ الصَّغِيرِ. فَأَخَافَهُ الْأَمْرُ وَ أَهْدَى الْقِطْعَةَ لِزَمِيلِهِ جَبِيتُو. فَشَكَرَهُ جَبِيتُو، الَّذِي طَالَمَا حَلُمَ بِصُنْعِ دُمْيَةً مُتَحَرِّكَةً، فِي الْحَالِ، عَادَ إِلَى بَيْتِهِ ثُمَّ شَرَعَ فِي نَقْشِ قِطْعَةِ الْخَشَبِ دُونَ انْتِظَارٍ.

نَظَرَ بِإِعْجَابٍ إِلَى التُّحْفَةِ الَّتِي صَنَعَهَا وَ قَالَ فِي نَفْسِهِ : «إِنَّهُ حَقًّا تِمْثَالٌ خَشَبِيٌّ جَمِيلٌ، سَأَدْعُوهُ بِينُوكْيُو وَ سَيُصْبِحُ إِبْنِي ! » وَ مَا إِنْ تَفَوَّهَ بِهَذَا التَّمَنِّي حَتَّى شَرَعَ التِّمْثَالُ الْخَشَبِيُّ فِي الْمَشْيِ وَ الْجَرْيِ دَاخِلَ الْغُرْفَةِ. قَفَزَ بِينُوكْيُو هُنَا وَ هُنَاكَ، وَ هَا هُوَ الآنَ أَمَامَ بَابِ الْبَيْتِ. قَفْزَةٌ وَاحِدَةٌ وَ الْتَحَقَ بِالشَّارِعِ ثُمَّ ابْتَعَدَ.

تَـمَكَّنَ جَبِيتُو ـ أَخِيرًا ـ مِنَ الْعُثُورِ عَلَيْهِ، وَ عَمَّتِ الْـحَيَوِيَّةُ حَيَاةَ جَبِيتُو مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ.

وَ الآنَ أَقُصُّ عَلَيْكُمْ مُغَامَرَاتِ بِينُوكْيُو.

فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، قَرَّرَ جَبِيتُو إِرْسَالَ بِينُوكْيُو إِلَى الْـمَدْرَسَةِ. « عَلَيْكَ تَعَلُّمَ الْقِرَاءَةَ وَ الْكِتَابَةَ يَا صَغِيرِي، اِذْهَبْ إِلَى الْـمَدْرَسَةِ وَ كُنْ مُهَذَّبًا ! »

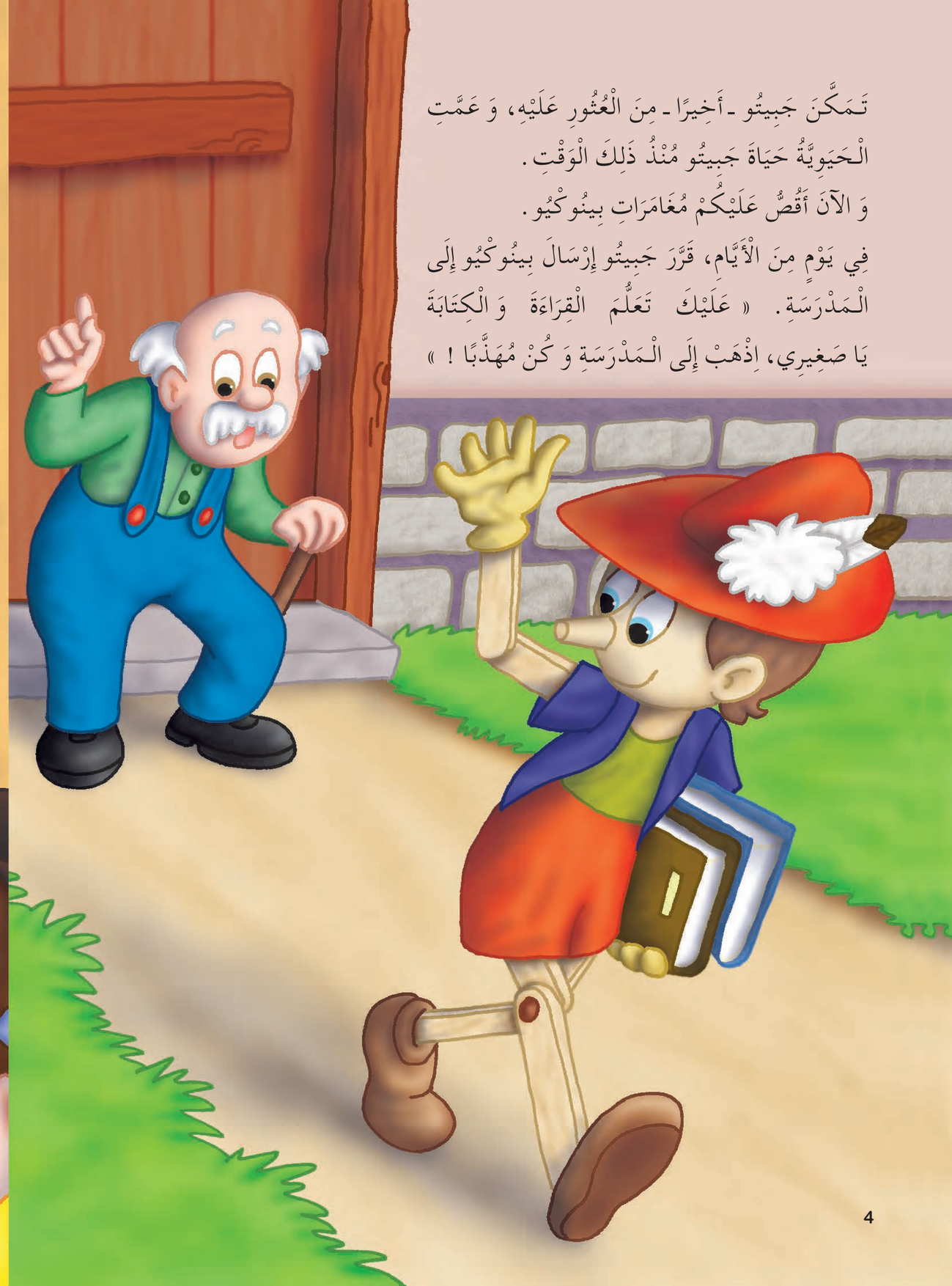

لَكِنْ بَدَلَ الذَّهَابِ إِلَى الْـمَدْرَسَةِ، دَخَلَ بِينُوكْيُو إِلَى أَوَّلِ مَسْرَحٍ لَقِيَهُ فِي طَرِيقِهِ وَ شَرَعَ فِي الرَّقْصِ وَ الضَّحِكِ.. مِنْ كَثْرَةِ الإِعْجَابِ، أَلْقَى الْـمُتَفَرِّجُونَ قِطَعًا نَقْدِيَّةً مِنَ الذَّهَبِ عَلَى مِنَصَّةِ الْـمَسْرَحِ.

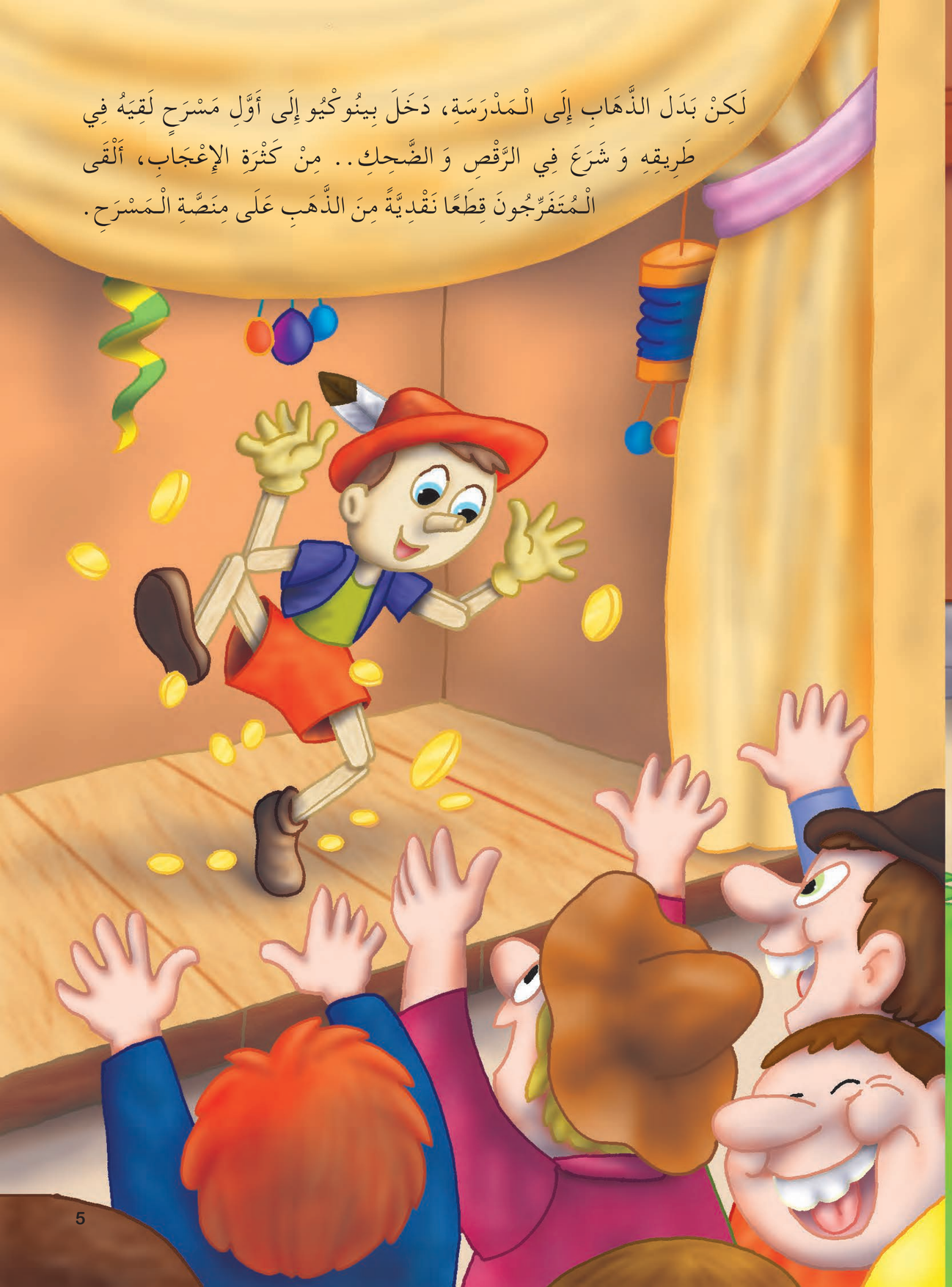

بَيْنَمَا هُوَ يَجْمَعُ الْقِطَعَ النَّقْدِيَّةِ، تَذَكَّرَ فَجْأَةً الْمَدْرَسَةَ. عَادَ حِينَهَا إِلَى طَرِيقِهِ.. إِلَّا أَنَّ قِطًّا خَبِيثًا وَ ثَعْلَبًا مَاكِرًا أَوْقَفَاهُ قَائِلَيْنِ : « رَافِقْنَا إِلَى مَطْعَمِ النُّزُلِ، أَيُّهَا التِّمْثَالُ الْخَشَبِيُّ، سَوْفَ تَرَى أَنَّهُ أَحْسَنُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ ! » فَرَافَقَهُمْ بِينُوكْيُو مِنْ كَثْرَةِ فُضُولِهِ.

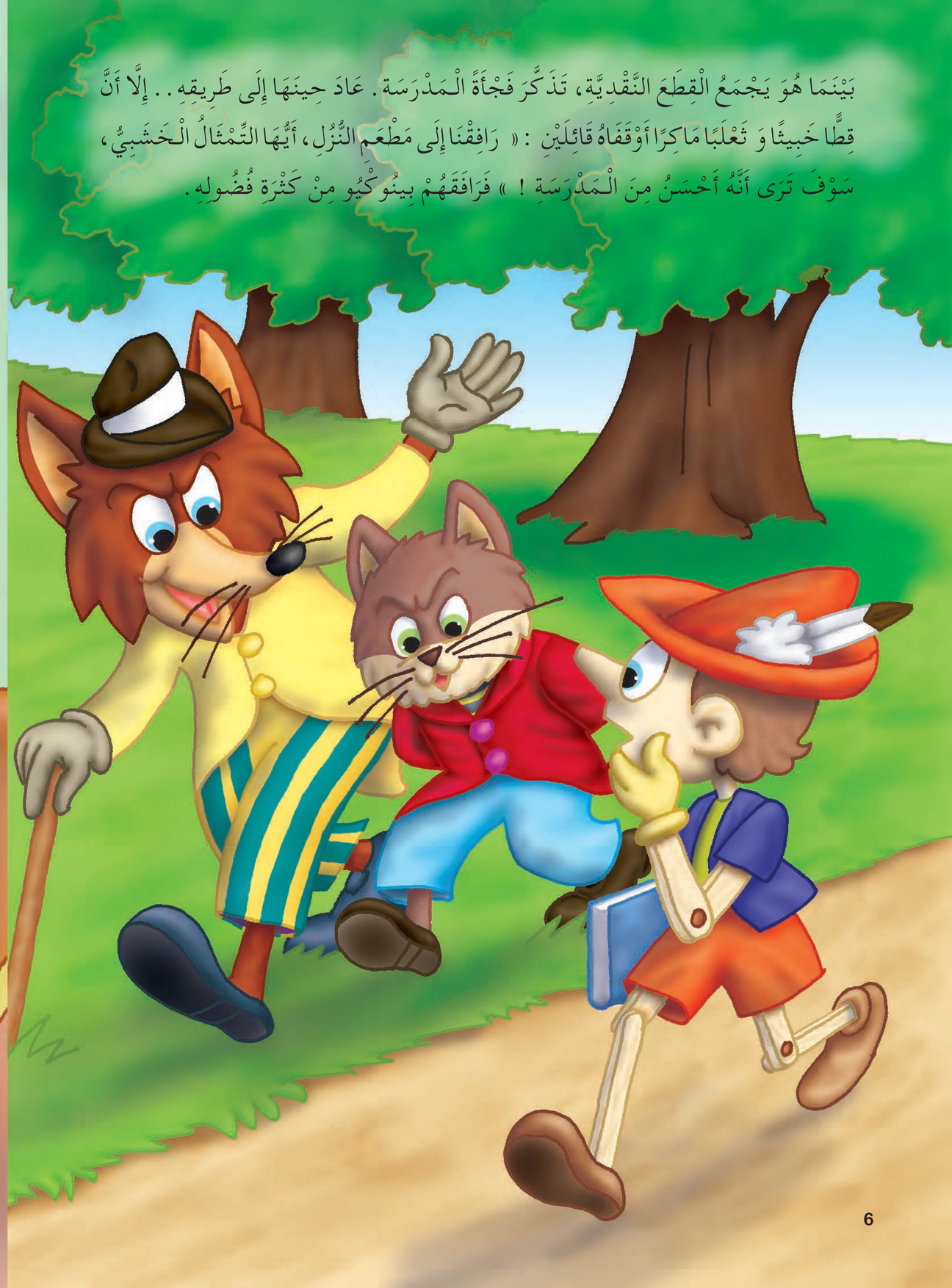

أَكَلُوا حَتَى شَبِعُوا وَ شَرِبُوا حَتَّى ارْتَوُوا. لَكِنْ عِنْدَمَا حَانَ وَقْتُ الدَّفْعِ، تَظَاهَرَ الْمَاكِرَانِ بِنِسْيَانِ نُقُودِهِمَا، فَدَفَعَ الصَّغِيرُ الْمِسْكِينُ عِوَضَ صَاحِبَيْهِ، وَ قَالَ لَهُمَا : « لَمْ يَبْقَ عِنْدِي سِوَى خَمْسِ قِطَعٍ نَقْدِيَّةٍ ! مَا الَّذِي سَأَقُولُهُ لِأَبِي ؟ »

« لاَ تَخَفْ شَيْئًا بِينُوكْيُو، سَوْفَ نَدُلُّكَ عَلَى مَكَانٍ سِحْرِيٍّ. » فَأَخَذَاهُ إِلَى حَقْلٍ وَ هُنَاكَ نَصَحاهُ بِصُنْعِ حُفْرَةٍ يَضَعُ فِيهَا نُقُودَهُ . . أَخْفَى بِينُوكْيُو نُقُودَهُ تَحْتَ التُّرَابِ بَيْنَمَا ذَهَبَ الآخَرَانِ إِلَى الْمَدِينَةِ . اسْتَلْقَى فَوْقَ الْعُشْبِ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ، وَ نَامَ بِالْقُرْبِ مِنْ شَجَرَةٍ . لَمْ يَنْتَبِهِ الصَّبِيُّ لِسُقُوطِ اللَّيْلِ، وَ فَجْأَةً سَمِعَ دَوِيَّ إِطْلاَقِ النَّارِ .

فَزِعَ بِينُوكْيُو وَ اسْتَيْقَظَ فَرَأَى خَيَالَيْنِ يُطْلِقَانِ النَّارَ تُجَاهَهُ . إِنَّهُمَا الْمَاكِرَانِ، الْقِطُّ وَ الثَّعْلَبُ، مُخْتَفِيَانِ تَحْتَ قِنَاعِ شَبَحٍ، فَصَرَخَ « النَّجْدَة، النَّجْدَة ! » نَاسِيًا نُقُودَهُ . فَرَّ بِينُوكْيُو مُسْرِعًا وَ طَرَقَ بَابَ أَوَّلَ مَنْزِلٍ وَجَدَهُ، فَفَتَحَتْ لَهُ اِمْرَأَةٌ رَائِعَةٌ دَعَتْهُ لِلدُّخُولِ إِلَى مَسْكَنِهَا .

« أَنَا هِيَ الْـجِنِّيَّةُ الزَّرْقَاءُ، أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ بِالْـحَيَاةِ، لِـمَاذَا لَسْتَ مَعَ وَالِدِكَ بِينُوكْيُو ؟ »

أَجَابَهَا قَائِلاً : « عُدْتُ الآنَ فَقَطْ مِنَ الْـمَدْرَسَةِ » وَ فَجْأَةً بَدَأَ أَنْفُهُ يَـمْتَدُّ ! وَ يَـمْتَدُّ !..

فَقَالَ : « لَكِنْ، مَا الَّذِي يُصِيبُنِي ! »

– « يَا بِينُوكْيُو، طُولُ أَنْفِكَ يَزْدَادُ كُلَّمَا كَذِبْتَ ! »

خَجِلَ بِينُوكْيُو وَ قَصَّ مُغَامَرَاتِهِ عَلَى الْـجِنِّيَّةِ الزَّرْقَاءِ فَعَادَ حِينَهَا أَنْفُهُ إِلَى حَجْمِهِ الْعَادِيِّ وَ وَعَدَهَا بِالْعَوْدَةِ فِي الْـحَالِ عِنْدَ جَبِيتُو.

إِنَّـمَا فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ تَوَقَّفَ لَـمَّا رَأَى أَطْفَالاً.. عَرَضُوا عَلَيْهِ الذَّهَابَ مَعَهُمْ، وَ هَا هُوَ يَنْسَى وَعْدَهُ وَ يَصْعَدُ فِي الْـحَافِلَةِ.

وَصَلُوا إِلَى جَزِيرَةٍ غَرِيبَةٍ، وَ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْمَدْرَسَةِ. تَلَذَّذُوا بِكُلِّ الْمَسَرَّاتِ.. وَ فَجْأَةً بَدَأُوا فِي التَّغَيُّرِ وَ تَحَوَّلُوا إِلَى حَيَوَانَاتٍ. تَحَوَّلَ بِينُوكْيُو إِلَى حِمَارٍ وَ أُلْقِيَ بِهِ فِي الْبَحْرِ.

تَتَبَّعَ خُطَاهُ حُوتٌ كَبِيرٌ كَانَ يَقْتَرِبُ مِنْهُ. صَرَخَ التِّمْثَالُ الْخَشَبِيُّ : «النَّجْدَة، سَاعِدُونِي ! » وَ هُوَ قَدْ عَادَ إِلَى شَكْلِهِ الْمُعْتَادِ بَعْدَمَا اتَّصَلَ بِالْمَاءِ. لَكِنَّ الْحُوتَ ابْتَلَعَهُ دُونَ انْتِظَارٍ. يَا لَهُ مِنْ مَنْظَرٍ غَرِيبٍ بِالنِّسْبَةِ لِلتِّمْثَالِ الْخَشَبِيِّ الصَّغِيرِ !

وَجَدَ جَبِيتُو بِينُوكْيُو فِي بَطْنِ الْحُوتِ الَّذِي قَالَ لَهُ : « مَا الَّذِي حَصَلَ لَكَ بِينُوكْيُو ؟ لَقَدْ بَحَثْتُ عَنْكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، هَيَّا اصْعَدْ بِسُرْعَةٍ، سَوْفَ نَخْرُجُ مِنْ هُنَا !!! » حَالَمَا فَتَحَ الْحُوتُ فَمَهُ تَدَفَّقَ السَّمَكُ فِي الْبَحْرِ، حَامِلاً عَلَى ظَهْرِهِ بِينُوكْيُو وَ وَالِدَهُ.

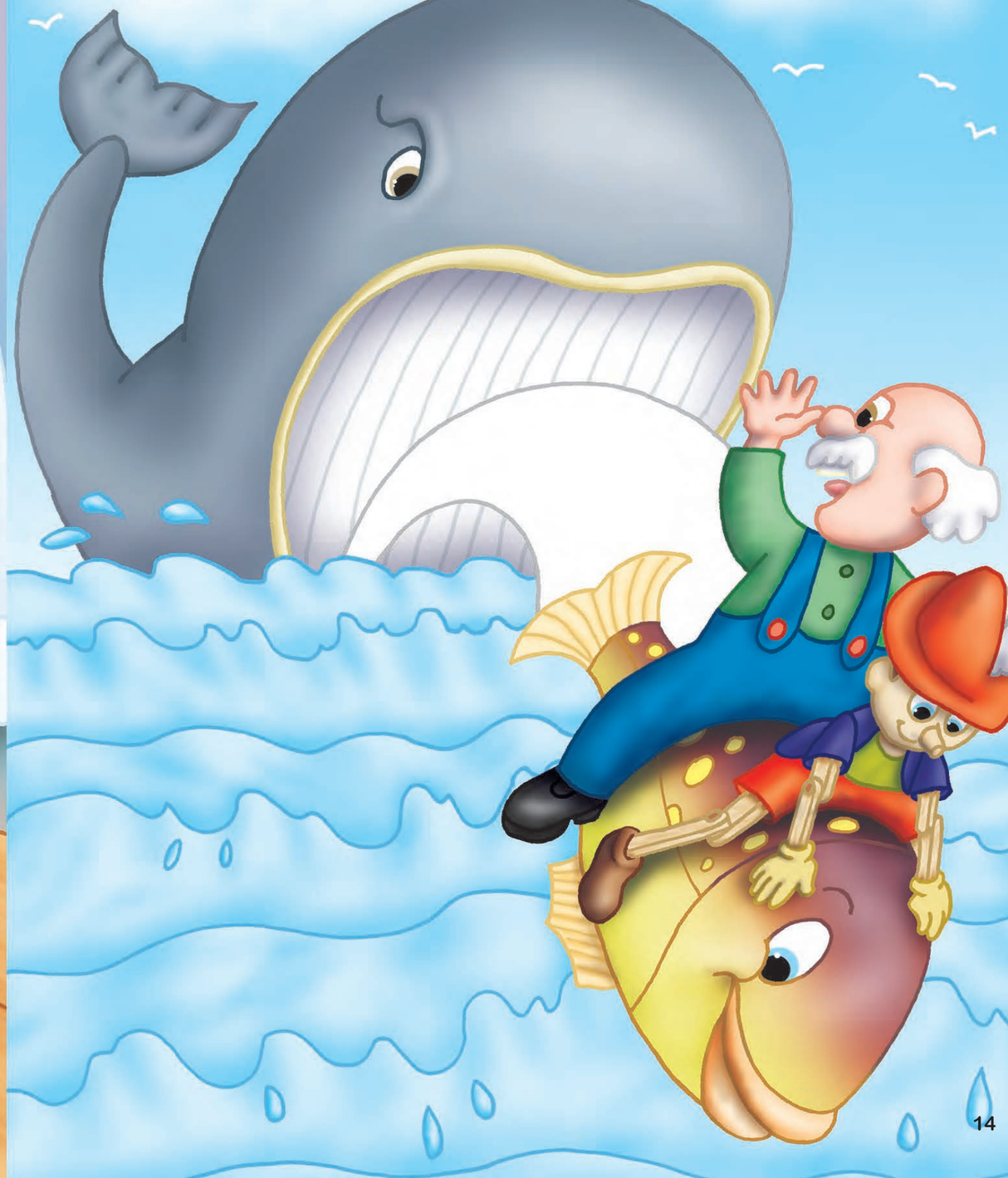

مُنْذُ تِلْكَ الْمُغَامَرَةِ، أَصْبَحَ بِينُوكْيُو أَكْثَرَ هُدُوءًا وَ أَعْرَبَ عَنْ نَدَمِهِ لِجَبِيتُو . .
كَانَ يَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْمَدْرَسَةِ وَ يُسَاعِدُ وَالِدَهُ الْعَجُوزَ فِي الْمَنْزِلِ. فَبَدَتِ الْجِنِّيَّةُ الزَّرْقَاءُ ثَانِيَةً وَ قَرَّرَتْ مُكَافَأَتَهُ : « سَأُحَوِّلُكَ إِلَى طِفْلٍ حَقِيقِيٍّ ! »

وَ بِدَقَّةٍ وَاحِدَةٍ بِالْعَصَا السِّحْرِيَّة، تَحَوَّلَ بِينُوكْيُو إِلَى طِفْلٍ. قَفَزَ جَبِيتُو مِنْ كَثْرَةِ الْفَرَحِ قَائِلاً : « كَمْ أَنَا سَعِيدٌ لِكَوْنِكَ مَعِي يَا بُنَيَّ ! » فَعَمَّتْهُمَا الرَّفَاهِيَّةُ وَ عَاشَا سُعِيدَيْنِ.